

يعلل كثير من المؤرخين والكتاب، موافقة الرئيس ويلسون على الوعد، بتأثره الشديد بالقاضي برانديس، الزعيم الصهيوني الأول، في ذلك الوقت «إذ يذكر سايكس، في كتابه: «دراستان في الفضيلة»: ان ويلسون كان مرتبطاً مع برانديس، بروابط وثيقة جداً، وان مستقبل الرئيس، في أولى أيامه، كان — كما يروي سايكس — قد أنقذ على يدي برانديس، ولذلك كان ويلسون مديناً له بمستقبله السياسي. ومع أهمية هذا السبب ووجهته، إلا أنه لا يبدو مقنعاً، لسبب وحيد، وخاصة، أن اثنين من كبار رجال الإدارة قد اعترضوا على الوعد. وقدم أحدهما «لاتسيخ» أسباباً مقنعة وموضوعية لرفضه. فاليهود ليسوا متحدين في المطالبة بوطن قومي، كما أن أميركا ليست في حالة حرب مع تركيا، والحكمة السياسية تقتضي العمل، بكل الوسائل، لتحييدها.

قد يستغرب البعض حين يعود لمبادئ ويلسون الأربعة عشر، من موافقته على وعد كوعد بلفور. فقد أعلن الرئيس تلك المبادئ أمام الكونغرس الأميركي في كانون الثاني (يناير) ١٩١٨، وفيها، رفض حق الحصول على مكاسب إقليمية، وأدان عقد الاتفاقات السرية، وأعلن في البند الخامس، حق تقرير المصير للشعوب، وفي البند الثاني عشر، أعلن حق التطور المستقل للقوميات، غير التركية، في الإمبراطورية العثمانية^(١٦). وذلك يفترض أن يعني حق العرب والفلسطينيين، في التطور المستقل، كقومية غير تركية، وكشعب له حق تقرير المصير.

إلا أن المثاليات التي أعلنها الرؤساء الأميركيون، لم تكن إلا غطاءً لمطامع استعمارية. ذلك أن ويلسون نفسه، ورغم مبادئه المعلنة، أيد علناً موقف بريطانيا، من ثورة مصر عام ١٩١٩، وحطم الحركة الوطنية في الفيليبين، حتى أن الجنرال سميث الأميركي، الذي كلف بتحطيم الحركة الوطنية في الفيليبين عام ١٩٢٠، أصدر أمراً لقواته جاء فيه: «إنني لا أريد أسرى، فأنا أريدكم أن تحرقوا وتقتلوا، وكلما زدت الحرق والقتل، كلما جلبتم السرور إلى قلبي»^(١٧).

وفي مؤتمر السلام الذي عقد في باريس، حمل ممثل أميركا اقتراحاً باستثناء فلسطين من أية محاولة، لإعطاء العرب الإستقلال^(١٨). ذلك أن العرب مازالوا بحاجة للاستشارة الإدارية، وبحاجة لمساعدة دولية، منتدبة من عصبة الأمم، على شكل هيئة دولية، تشرف على شؤونهم إلى أن يصبحوا قادرين على المسير وحدهم. لذلك فإن موقف الرئيس ويلسون كان في جانب منه، دعماً للمصالح الاستعمارية التي كانت في طور النمو، وفي جانب آخر، كان متأثراً بالقاضي برانديس، وبأصوات اليهود التي تحولت للديمقراطيين، وكانت سبباً من أسباب عديدة، لنجاح الرئيس ويلسون.

مؤتمر السلام في باريس

تحرك الرئيس ويلسون، خطوتين إلى الأمام، قبيل المؤتمر وأثناءه، باتجاه تأييد المطالب الصهيونية في فلسطين. فقد بدا أن فرنسا تريد المطالبة بتطبيق البنود السرية، لاتفاقية «سايكس — بيكو» السالفة الذكر، والتي أعطت فرنسا، كما ذكرنا، الجليل الأعلى، ودوراً حاسماً في الوضع الدولي القادم لفلسطين. عندها بعث برانديس برسالة للرئيس